

تفسير ابن كثير

يقول تعالى لعبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم تسليمًا { وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرًا ونذيرًا } أي إلا إلى جميع الخلائق من المكلفين كقوله تبارك وتعالى : { قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعًا } { تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا } { بشيرًا ونذيرًا } أي تبشر من أطاعك بالجنة وتنذر من عصاك بالنار { ولكن أكثر الناس لا يعلمون } كقوله D : { وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين } { وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوا عن سبيل الله } .

قال محمد بن كعب في قوله تعالى : { وما أرسلناك إلا كافة للناس } يعني إلى الناس عامة وقال قتادة في هذه الآية : أرسل الله تعالى محمدًا صلى الله عليه وسلم إلى العرب والعجم فأكرمهم على الله تبارك وتعالى أطوعهم D وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو عبد الله الظهراني حدثنا حفص بن عمر العدني حدثنا الحكم يعني ابن أبان عن عكرمة قال : سمعت ابن عباس Bهما يقول : إن الله تعالى فضل محمدًا صلى الله عليه وسلم على أهل السماء وعلى الأنبياء قالوا : يا ابن عباس فيم فضله على الأنبياء ؟ قال Bه : إن الله تعالى قال : { وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم } وقال للنبي صلى الله عليه وسلم : { وما أرسلناك إلا كافة للناس } فأرسله الله تعالى إلى الجن والإنس وهذا الذي قاله ابن عباس Bهما قد ثبت في الصحيحين رفعه عن جابر Bه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا فأیما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة] وفي الصحيح أيضًا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : [بعثت إلى الأسود والأحمر] قال مجاهد : يعني الجن والإنس وقال غيره : يعني العرب والعجم والكل صحيح .

ثم قال D مخبرًا عن الكفار في استبعادهم قيام الساعة : { ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين } وهذه الآية كقوله D : { يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق } الآية ثم قال تعالى : { قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون } أي لكم ميعاد مؤجل معدود محرر لا يزداد ولا ينقص فإذا جاء فلا يؤخر ساعة ولا يقدم كما قال تعالى : { إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر } وقال D : { وما يؤخره إلا لأجل معدود * يوم يأتي لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد } .